ذلك ، فلنفترض ان الدكتور البيطار يقصد بالفكر الثوري العربي ، الفكر الذي نشأ عليه جيلـه وجيلنا في الحقبة المنصرمة من عمر نضال شعبنا ، وهو في مجمله فكر هيمنت عليه ، في اكثر اشكاله شيوعا ، البورجوازية العربية الصغيرة بمختلف شرائحها ، وبهذا المعنى ، وخصوصا حين كلفت العسكريتاريا العربية نفسها مهمة وضع ذلك الفكر الثوري موضع التنفيذ في اكثر من بلد عربي ، ظهر بصورة فاضحة عجز هذا الفكر عن الايفاء بالمهمات التي انتدب نفسه لتنفيذها، فهو لم يستطع استكمال مهمات مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي ، وان قطع شوطا في سياقها ، وعجز عن ارساء برنامج التصنيع والتحديث ، واخذت تبرز يوما بعد آخر البذور الكامنة لتناقضه مع مصالح اوسع القطاعات الجماهيرية ، ووقع شيئا فشيئا اسير منشئـه العسكريتاري ، اللاديمقراطي ، اللاشعبي .

اننا نتفق مع الدكتور البيطـار بأن ذلك الفكـر الثوري، بهذا الخط العريض المختصر الذي رسمناه له ، هو فكر عاجز . طبعا ، لان سمته الطبقية محدودة ومؤقتة ، ولذلك فهو فكر متذبذب ، غير جذري ، وبالتالي غير قادر على تنفيـذ البرنامج الذي حركه في الاساس ، الا جزءا يسيرا منه . الى هذا الفكر نحن بدورنا ننسب الدكتور البيطار نفسه ، لان هذا الفكر حين يبدأ يتلمس مأزقه ، يتحول الى نوع تأنيبي من الوعظ والارشاد ، والى شعائرية نافذة الصبر ، وكي يستطيع تحقيق ذلك يضع نفسه فوق الطبقات ، ويتحدث بالمطلقات . يتحدث عن « وحدة عربية » ـــ كما فعل الدكتور البيطار ـــ دون ان يقول لنا وحدة من وبقيادة من ولمصلحة من ، ويتحدث عن « جيوش نظامية » ، دون ان يقول لنا اية طبقة تخدم ؟ وهل هي جهاز قمعي ضد الجماهير كما هي الحال في الاردن ؟ ام جهاز قتالي مستعد للتضحية ولكنه محكوم بتصور قياداته ؟ ام ماذا ؟ ويتحدث عن « فكر المقاومة » دون ان يقول لنا ان كان يتحدث عن يمين ذلك الفكر ام يساره ، ويتحدث عن حروب التحريـر الشعبية دون ان يقول لنا ، على الاقل، مصادره!

قلنا نحن نتفق مع الدكتور البيطار في وصف ذلك الفكر ، ان كان هو الذي يقصده ، بأنه فكر عاجز، (لا نقول تبشيري ، لان في كل فكر يوجد جانب تبشيري ، وذلك ضرورة لا يجوز تجاهلها والا تحول الفكر الى امتياز فردي ، الى جزء من مفروشات صومعة !) وهو عاجز لانه فكر بورجوازي صغير . والصحيح اكثر هو انه ليس كذلك فحسب ، بل هو فكر بورجوازي صغير ومتخلف وعسكريتاري في معظمه ، والظاهر ان الدكتور البيطار يعرف ذلك، فهو يقول : « ... الفكر المقاوم ... فكر ما يزال يمارس العقلية الشعائرية ، والثورية اللفظية ، والمنطلقات التبشيرية التي قادتنا الى ١٩٤٨ والى ١٩٦٧ .. » اي انه يقصد بأن الفكر الذي قاد الى كارثة حزيران ، وقبلها كارثة ١٩٤٨ (ليس كذلك بالضبط ، ولكن لنفترض ان الدكتور البيطار على صواب) ، كان فكر البورجوازية الصغيرة ، وهو يتهم المقاومة بأنها تلحق نفس الاسلوب ، حسنا . اذن بماذا يجب ان ننصح المقاومة ؟ بتجاوز ذلك الفكر الى فكر اكثر تقدما ، أليس كذلك ؟ ولكن الدكتور البيطار يفعل العكس ، فهو يدعونا في مجمل مقاله ليس فقط الى الاقتداء بالانظمة التي حملت ذلك الفكر وعبرت عنه ، ولكن ايضا بالانظمة التي ما زالت وراءها بكثير !

ما الذي فعلناه نحن ؟ نحن قلنا الكلام ذاته الذي اكتشفه الدكتـور البيطار متأخـرا . قلنا ان البورجوازية الصغيرة استهلكت دورها، ادت المهمة التي تستطيعها وعجزت عن متابعة الشوط ، ذلك يجعلها تغرق اكثر فأكثر في عجزها مثل الذي يقع في رمال متحركة . جاءت هزيمة ٥ حزيران فكشفتها بفضائحية لا مثيل لها : لم تنهزم فحسب ، ولكنها انهزمت فوق كوم من الاكاذيب كانت تحقنها مثل المخدر في عضلات الجماهير ، انهزمت وكشفت عن تخلخل مخجل في كيانها الذاتي ، نكاد لا نجد فضيلة واحدة لها لحظة المواجهة التاريخية . لقد اظهرت ان الولاء الجماهيري الكاسح الذي كان لها لم يكن يعني بالنسبة لها الا مقعدا تكلست فوقه وانه كان في غالب الاحيان نهرا جبارا تدور مياهه في فراغ .

ما العمل ، اذن ؟ نحن قلنا ان الذي يريد ان يذهب الى الشرق لا يضع رأس حصانه صوب الغرب ، فاذا اردنا الانتصار علينا ان نتقدم الى الامام ، ان نتخلى عن افكار وأساليب البورجوازية الصغيرة ، المتخلفة ، العسكريتارية ، ونتبنى افكار واساليب في مستوى التحدي الذي دعوسنا بنعليه اربـع سنوات ..

ذلك هو فكر الطبقات الاكثر انسحاقا ، والاكثر عددا ، والاشد صبرا : ان هذا الفكـر ليس تبشيريا ، وان كان التبشير فيـه (بالاحرى :